شرح كتاب أصول الإيمان

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/١٠/٠٥ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

فنبدأ مستعينين بالله عز وجل في قراءة هذا الكتاب القيم والمؤلَّف النافع «أصول الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . وهذا الكتاب مع صغر حجمه إلا أنه عظيمٌ جدًا في بابه ، وقد جمع فيه مصنفه رحمه الله غُرَر هذا الموضوع وأسسه وأصوله ، وجمع فيه طرفًا مباركًا من نصوص الشرع فيما يتعلق بأصول الإيمان .

والإيمان الذي خلقنا الله عز وجل لتحقيقه وأوجدنا لتكميله وتتميمه قائمٌ على أصول لا قيام له إلا عليها، وشأن الإيمان في قيامه على أصوله كشأن البيت لا يقوم إلا على أعمدته وأسسه ، وكشأن الأشجار لا تقوم إلا على أصولها؛ فأصول الإيمان منزلتها في الدين منزلة الأصول من الأشجار ، والقواعد من البنيان ، ومنزلة الرأس من الجسد؛ ولهذا إذا عُدمت هذه الأصول أو عُدم بعضها انهدم الإيمان ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٥٤] ، فانعدام أصول الإيمان أو أصلٍ منها محبطٌ للأعمال مبطلٌ للدين فلا قيام للدين إلا على أصوله وقواعده .

وقد ضرب الله تبارك وتعالى مثلًا للإيمان بالشجرة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥] ؛ فجعل الله عز وجل مثل الإيمان مثل الأشجار ، بل إن المراد بالشجرة هنا تحديدًا النخلة كما هو مبين في السنة في الصحيحين وغيرهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا ، وَلَا ، وَلَا)) ذكر صفات لها جعلها الله تبارك وتعالى مثلًا للمؤمن، فخاض الناس في شجر البوادي فلما لم يعرف أحد منهم قال عليه الصلاة والسلام : ((هِيَ النَّخْلَةُ)) ؛ فالنخلة جعلها الله تبارك وتعالى مثل للمؤمن . والنخلة لها عرقٌ راسخ في الأرض ولها أصلٌ ثابت ولها فروع قائمة ، والإيمان يقوم على أصل وله أيضا فروع ، الإيمان قول واعتقاد وعمل ؛ اعتقادٌ في القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، فالإيمان بمثابة الشجرة ، الإيمان شجرة عروقها في القلب ، ومكان نباتها ونماءها هو القلب ، ولها سقيٌ يغذِّيها كالشجرة وهو الوحي

؛كلام الله عز وجل وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وكلما عظم نصيب الإنسان وحظه من الوحي عظم نماء شجرة الإيمان في قلبه .

وهذه الشجرة لها أساس تقوم عليه وهو الاعتقاد الصحيح ، ولها فروع وهي الأعمال الصالحة والطاعات الزاكية التي يتقرب بها المسلم إلى الله تبارك وتعالى ، ولها ثمار مثمرة ثمار مستمرة ، ولها جنًى لذيذ دائم ، تؤتي أكلها كل حين ، وثمر هذه الشجرة ثمرٌ مستمرٌ دائم في الدنيا والآخرة ، وثمار الإيمان على صاحبه في الدنيا والآخرة لا حد لها ولا عد، بل إن كل خير ينزل وكل نعمة تُنال وتحصل للعبد في دنياه وأخراه هي ثمرة من ثمار إيمانه ونتيجة من نتائجه ، وقد قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي: «للإيمان ما يزيد على المئة فائدة ذكرت في القرآن» وعدَّ جملة منها. كذلك الإمام عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في كتابه العظيم «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» عقد فصلًا عظيما جدًا في بيان ثمار الإيمان وفوائده وعدَّد جملة كبيرة من فوائد الإيمان .

الشاهد أن الإيمان لا يقوم إلا على أصوله وقواعده ؛ فهو بمثابة البناء ، واستقامة البناء وقيامه إنما يكون على أصوله التي بيّنت في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

وأصول الإيمان ستةٌ ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعةً في حديث جبريل ؛ عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام قائلا «أخبرني عن الإيمان؟» قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)) ، فهذه أصول الإيمان التي عليها قيامه . وجاءت أيضا مجتمعةً في غير ما آية من كتاب الله عز وجل كقوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧] ، وقال الله عز وجل في آخر السورة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال الله جل وعلا في سورة النساء: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] وجاء ذكر هذه الأصول في مواضع كثيرة من كتاب الله عز وجل .

فهي أصولٌ عليها يُبنى الإيمان ، ولا قيام للإيمان إلا عليها ، وهي كما نبه العلماء رحمهم الله أصولٌ مترابطة مرتبط بعضها ببعض ، آخذ بعضها ببعضٍ ، لا يُقبل بعضها دون بعض ، فمن آمن ببعضها لزمه الإيمان بباقيها ، ومن كفر ببعضها فهو كافرٌ بباقيها ، الإيمان ببعضها يستلزم الإيمان ببقية الأصول ، والكفر ببعضها كفرٌ بالإيمان وكفر بالله ، لأنها أصول مترابطة لا يقوم الإيمان إلا عليها مجتمعةً ؛ فإذا فُقِد منها واحد انهار البناء وانهدم الإيمان، من وُجد منه كفرٌ أو شك بالملائكة أو بالقدر أو بالكتب أو بالأنبياء أو بواحدٍ من الأنبياء فوجود الكفر محبط

للأعمال هادمٌ للإيمان ، وقد مر معنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، فهذه الأصول لا يقوم الإيمان إلا عليها مجتمعة ، فإذا فُقد واحد منها أو فُقد بعضها لم ينتفع الإنسان بعمل ، ولهذا أُثِر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في القدر : «القدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده» لا يكون موحدًا لا يكون مؤمنا بالله من يكذب بالقدر ، لا يكون مؤمنا بالله من يكذب بالملائكة ، لا يكون مؤمنا بالله من يكذب بكتبه التي أنزلها أو برسله الذين بعثهم سبحانه وتعالى ، فالكفر بشيء من هذه الأصول كفرٌ بالله تبارك وتعالى .

ولهذا اعتنى العلماء –رحمهم الله وغفر لهم وأحسن إليهم – بهذه الأصول وبيانها وإبرازها وذكر شواهدها ودلائلها نصحًا للأمة ، وبيانا للعباد ، ومعذرة إلى الله تبارك وتعالى ، وكُتِب في هذه الأصول كتابات كثيرة مطولة ومختصرة في القديم والحديث ، ومؤلفات أهل العلم في الإيمان وبيان أصوله كثيرة جدا ، وتأتي هذه الرسالة المختصرة جامعة في بابها مع اختصارها أصول الإيمان وذِكر شواهدها ودلائلها وجمْعها جمعا مختصرا مفيدٌ جدًا للمسلم ؛ ففيها فائدة عظيمة للمسلم ولطالب العلم المبتدئ ، وفيها أيضا تذكير لطالب العلم ولأهل العلم بما جمعته وحوَته من دلائل عظيمة وشواهد مباركة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير هذه الأصول العظام التي عليها يُبنى الإيمان .

ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا أجمعين لحسن تعلم أصول الإيمان تقربًا إلى الله عز وجل ، واجتهادًا في تحقيق هذه الأصول وفهمها فهمًا صحيحًا تُعمر به القلوب وتزكو به النفوس وتطيب به الأعمال وترتفع به درجات العبد عند الله تبارك وتعالى ؛ فإن العبد ترتفع درجاته عند الله عز وجل ارتفاعًا عظيما بما يُملأ به قلبه من الإيمان أعظم من القيام بالأعمال ، فأثر الإيمان في ارتفاع الدرجات أعظم من أثر الأعمال ، وقد جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُم)) قَال الصحابة رضي الله عنهم : «يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ» ؟ قَالَ ((بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)) ، فعمارة القلب بالإيمان وبأصوله وتحقيق الإيمان في القلب هذا من أعظم ما يكون ، وإذا صلح القلب وعمُر بالإيمان صلحت الجوارح تبعًا له ، لأن الجوارح لا تتخلف عن مرادات القلب ، فإذا صلح القلب بالإيمان صلُحت الجوارح ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

والقلب والبدن يملأ بالإيمان ، والإيمان يدخل فيه ويتمكن منه بمجاهدة النفس على معرفة الإيمان ومعرفة أصوله والوقوف على دلائله وشواهده وبراهينه ، وكلما زاد العبد في هذا عظُم حظه من الإيمان تحصيلًا له وتمكنًا فيه ،

وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((مُلِئَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ)) ، المشاش: أطراف الأصابع ، يعني امتلأ من الداخل إيمان ، فمن كان شأنه في دينه بهذا الوصف لا يكون حاله كمن يعبد الله على حرف أو يعبد الله بقيامه بأعمال الإسلام الظاهرة ولم تتمكن حقائق الإيمان من قلبه ولم ترسخ في قلبه ، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] ، فالإيمان رتبة علية ودرجة رفيعة يبلغها العبد بتوفيق الله عز وجل بمجاهدته لنفسه في تعلم أصول الإيمان .

وأصول الإيمان يتفاوت الناس في معرفتها ؛ فمنهم من معرفته بها معرفة مجملة يصح بها عمله ، لأن العمل لا يصح إلا بقدر من الإيمان يصحح الأعمال ، إذا انتفى هذا القدر بطُل العمل كما قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩] ، وكما قال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:٩٧] ، فالعمل لا يكون مقبولًا إلا بوجود قدر من الإيمان يصح به العمل ، فمن الناس حظه من الإيمان ما يصح به عمله ، ومنهم من وفَّقه الله عز وجل لمعرفة تفاصيل الإيمان وحقائقه ومعرفة دلائل الإيمان وشواهده وبراهينه ما كان عامرًا به قلبه ، ما كان ممتلأ به قلبه ، فترتفع درجاته عند الله عز وجل بذلك.

وعلى هذا ينبغي أن يُفهم قول بكر بن عبد الله المزني في شأن أبي بكر الصديق قال : «ما سبقهم أبو بكر بكثير عمل ولكن في شيء وقر في قلبه» ، وهذا فيه تنبيه إلى الدرجة العلية التي لم يُسبق فيها أبو بكر رضي الله عنه في الإيمان ، فهو صدِّيق الأمة رضي الله عنه وأرضاه ، فدرجته في الإيمان درجة علية، درجة رفيعة ، وهو المقدَّم في السابقين من هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خير أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، بل هو رضي الله عنه وأرضاه خير أتباع الأنبياء ، لا يوجد في أتباع الأنبياء من هو خيرٌ منه كما قال عليه الصلاة والسلام: ((أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مَا خَلا النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ)) ؛ فهذه منزلة علية ، وإذا نظرت إلى جانب العمل فكان سابقًا غيره في الأعمال ، حتى قال عمر رضي الله عنه: «مَا سَابَقْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ إِلَّا وَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي» فكان سابقًا في العمل ، لكن أراد بكر المزني أن ينبه على قوة الإيمان الذي امتلأ به قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

فشأن الإيمان ومكانته عظيمة جدا ، وحاجة العبد ماسة إلى تعلمه وتعلم أصوله والوقوف على حقائقه وشواهده وبراهينه ؛ ولهذا لا ينبغي للمسلم أن يستكثر على نفسه وعلى وقته قراءة مثل هذه الكتب والرسائل التي تبين الإيمان وتوضح الإيمان ، ولا يقول على وجه القطع لنفسه عن الخير وعن الفهم "أصول الإيمان عرفناها" أو "الإيمان عرفناه" بل الإيمان يحتاج إلى تجديد مستمر ومذاكرة دائمة كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)) ، العبد يحتاج إلى مجاهدة

لنفسه في تجديد الإيمان وتقوية الإيمان وترسيخ الإيمان وتمكين أصول الإيمان في قلبه ، ولهذا كانت الأذكار النبوية المشروعة للأمة كلها تربط الإنسان بالإيمان وأصوله ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه لينام قال: ((اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)) ، وهكذا تجد في الأذكار ما يربط العبد بالإيمان وبأصوله ولاسيما أصل أصول الإيمان وهو توحيد الله وإخلاص الدين له ومعرفته سبحانه وتعالى ؛ فهذا أعظم الأصول وأجلُّها وأرفعها على الإطلاق ، وبقية الأصول تبعٌ له ، ولهذا بدأ المصنف رحمه الله بهذا الأصل المكين والأساس المتين الذي هو معرفة الله عز وجل وتحقيق توحيده .

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه «أصول الإيمان» :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين .

«باب معرفة الله عز وجلَّ والإيمان به»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)) رواه مسلم .

****

قال المصنف رحمه الله بعد أن بدأ بالبسملة وطلب العون من الله تبارك وتعالى: «**بابٌ معرفة الله عز وجل والإيمان به**» ؛ هذا الباب الذي بدأ به المصنف رحمه الله هو أصل أصول الإيمان ؛ معرفة الله جل وعلا والإيمان به.

والله سبحانه وتعالى يُعرف بأمرين :

١. يعرف بآياته ومخلوقاته الدالة عليه ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ، فالمخلوقات دالةٌ على وجود خالقها ، والمصنوعات دالةٌ على وجود صانعها ومبدعها ، فالله عز وجل يُعرف بآياته ولهذا أمرنا سبحانه وتعالى وأمر الناس بالتفكر في آياته والنظر فيها لأنها تدل عليه، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠] هذه كلها تدل على الخالق وتشهد على عظمته وكمال صُنعه ودقة خلقه وكمال إبداعه تبارك وتعالى وتقديره ، فهي تدل على الله ، والمخلوقات تدل على خالقها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] ، فالمخلوقات دليل هادٍ إلى الخالق المبدع ، دليلٌ لمعرفة عظمته وكمال قدرته وكمال قوته وكمال تدبيره وعظيم تصرفه. قيل لأعرابي بم عرفت ربك؟ قال : «سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير!!» وقيل لآخر بم عرفت ربك؟ قال : "بنقض العزائم وحل الهمم" . فشواهد عظمة

الخالق وكمال قدرته جل وعلا في مخلوقاته لا حد لها ولا عد ، ولهذا قيل «في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد» تبارك وتعالى ، ولهذا جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا فيها التذكير بآيات الله «من آياته كذا ومن آياته كذا ومن آياته كذا» ، يمر عليك في القرآن آيات كثيرة ، أو تُذكر أشياء ثم تُختم الآية «إن في ذلك لآية» ، فهذه آيات وشواهد ودلائل وبراهين على كمال المبدع وعظمة الخالق سبحانه وتعالى .

٢. ويُعرف سبحانه –وهذا الأمر الثاني– بأسمائه وصفاته التي أخبر بها تبارك وتعالى عن نفسه في كتابه وأخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي القرآن لا تكاد تمر بآية في كتاب الله عز وجل إلا وفيها ذكرٌ لشيء من أسماء الله الحسنى أو صفاته العظيمة ؛ وسورة الإخلاص {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن قال العلماء: لأنها أخلصت لبيان صفة الرحمن ، وآية الكرسي كانت أعظم آية في القرآن لأنها أخلصت للتوحيد وبيان صفات الله تبارك وتعالى وعظمته ، فاشتملت من أسماء الله الحسنى ما يزيد على الخمسة أسماء ، ومن الصفات ما يزيد على العشرين صفة ؛ فهي أعظم آية في كتاب الله عز وجل ، وعظمتها من عظمة المعاني الجليلة الكبيرة الفخمة التي اشتملت عليها ، فإن هذه الآية اشتملت من ذكر التوحيد وبيان عظمة الرب وتقرير دلائل التوحيد مالم تشتمل عليه آية أخرى في القرآن الكريم ، وما اجتمع في هذه الآية جاء متفرقًا في آيات كثيرة كما أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بعض كتبه .

ومعرفة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته هذا أشرف العلوم على الإطلاق، ليس في العلوم علمٌ أشرف من هذا العلم ، وليس في العلوم علم أجل من هذا العلم، وكما قيل شرف العلم من شرف معلومه ، وليس هناك أشرف من العلم بالله جل وعلا والعلم بأسمائه سبحانه وتعالى وصفاته العظيمة الدالة على كماله وجلاله وعظمته سبحانه ، وقد قال بعض السلف قديما : «من كان بالله أعرف كان منه أخوف» ، ذكر هذه الكلمة ابن القيم في بعض كتبه وأضاف إليها معانٍ جميلة قال : «من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، ولعبادته أطلب ، وعن معصيته أبعد» ، فالعبد كلما زاد حظه وعظم نصيبه من معرفته لربه تبارك وتعالى عظم صلاحه واستقامته وزكاء قلبه وطيب عمله وسداد قوله ، قد قال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] ، والآية شاهدة لما سبق؛كلما عظمت هذه المعرفة في قلب العبد عظم حظه من الخير وزاد نصيبه منه ، والله تبارك وتعالى خلق الخلق لتوحيده ، والتوحيد الذي خلق الله تبارك وتعالى الخلق لأجله يتناول جانبين:

١. الجانب العلمي ؛ وهو المعرفة ، معرفة الله والعلم به سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته .

٢. والجانب الآخر الجانب العملي ؛ وهو إخلاص الدين له وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة وحده دون سواه .

وقد ذُكر النوع الأول الذي هو العلمي في آخر سورة الطلاق وبُيّن في الآية أنه مقصودٌ للخلق ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق:١٢] ، قال "خلق لتعلموا" فمن مقصود الخلق خلق الناس وإيجادهم العلم بالله، لماذا خلقنا؟ لنعلم أنه على كل شيء قدير وأنه تبارك وتعالى أحاط بكل شيء علما ، فالله خلق الخلق ليعرفوه وليعلموا عظمته وجلاله وكماله وكمال قدرته وإحاطة علمه ؛ فهذا مقصود للخلق . والمقصود الثاني للخلق إفراده بالعبادة ووحده دون سواه ، وهذا بيَّنه الله في أواخر سورة الذاريات في قوله تبارك وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ ؛ هنا خلق ليعبدوا وهناك خلق ليعلموا ، فالخلق مقصوده أمران : العلم والعمل ؛ يقال عن الأول: «التوحيد العلمي» ، ويقال عن الثاني: «التوحيد العملي» . التوحيد العلمي: بمعرفة الله ومعرفة أسمائه ومعرفة صفاته ومعرفة تفرده بأفعال الكمال وصفات الجلال ونعوت العظمة والتدبير والتسخير والتصرف والإحياء والإماتة ، نعلم ذلك ونثبته لله سبحانه وتعالى ونوحد الله تبارك وتعالى به ولا نجعل مع الله فيه شريك ، والجانب الثاني: جانب عملي وهو الذي دلت عليه آية الذاريات ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا ليقوموا بعبادته وتوحيده . والمراد بالعبادة : التوحيد ، وقوله ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليوحدون ، فالعبادة لا تصح إلا بالتوحيد ، العبادة التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها لا تصح إلا بالتوحيد ، فإذا داخلها الشرك لا تكون عبادة صحيحة ، فالله عز وجل لم يخلق الخلق ليعبدوه ويعبدوا غيره معه! بل خلقهم ليعبدوه وحده ، ولهذا يؤثر عن ابن عباس أنه قال : «كل أمرٍ بالعبادة في القرآن أمرٌ بالتوحيد» ، فالله عز وجل خلق الخلق ليفردوه وحده بالعبادة، كما أنه سبحانه وتعالى تفرد وحده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير فالواجب أن يُفرد وحده تبارك وتعالى في العبادة ، فلا يُجعل معه شريك في الحب والخوف والرجاء والذل والخضوع والركوع والسجود والذبح والنذر وغير ذلك ، هذه عبادات حقٌ لله ، حقٌ للخالق ، حقٌ للمتفرد ، حق للمبدع للبارئ سبحانه وتعالى ، ولهذا لما عبَد قوم موسى العجل واتخذوه شريكًا مع الله لما أمرهم بالتوبة ماذا قال؟ وانتبهوا لهذه اللطيفة قال: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[البقرة:٥٤] نبههم بذكر اسمه «البارئ» سبحانه وتعالى على بطلان ما هم عليه من عبادة ، لأن كونه تبارك وتعالى وحده البارئ دليل وشاهد على أنه وحده المستحق للعبادة والمستحق لأن يفرد تبارك وتعالى وحده بالطاعة، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢] والخطاب هنا للمشركين ؛ لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله تبارك وتعالى .

وقول المصنف رحمه الله «**بابٌ معرفة الله عز وجل والإيمان به**» ؛ المعرفة تقدم الحديث عنها . والإيمان بالله المراد به: الإيمان بوحدانيته تبارك وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ولهذا قال العلماء رحمهم الله : الإيمان بالله لا يقوم إلا على هذه الأركان الثلاثة . للإيمان بالله أركان ثلاثة لا قيام له إلا عليها ولا صحة للإيمان بالله إلا بها :

١. الأول : الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته .
٢. والثاني : الإيمان بوحدانية الله في اسمائه وصفاته .
٣. والثالث: الإيمان بوحدانية الله في ألوهيته .

ودين الإسلام سمي توحيدًا لأن مبناه على الإيمان بوحدانية الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] ، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥] ، وقال جل وعلا: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩] ، فـ«الأحد» يدل على أحديته ، و«الواحد» يدل على وحدانيته، والأحدية والوحدانية صفتان لله دالتان على تفرده تبارك وتعالى ؛ تفرده بالخلق والرزق والتصرف والتدبير، وتفرده تبارك وتعالى بالأسماء الحسنى والصفات العظيمة ، فهو متفرد بها ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:١٨٠] أي مختصٌ بها متفردٌ بها تبارك وتعالى ، وهو أيضا متفرد بالعبادة يجب أن يُفرد بها ولهذا قال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ [ص:٦٥] فيجب أن يفرد بالعبادة دون سواه ،كما أنه تفرد تبارك وتعالى وحده بالخلق فوجب أن يفرد تبارك وتعالى وحده في العبادة . فالإيمان بالله هو الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته .

ولهذا بدأ المصنف فيما يتعلق بمعرفة الله والإيمان به بدأ ذلك بإبطال الشرك ، لأن المشرك ما عرف الله ولا آمن به ، منبهًا المصنف رحمه الله بهذا البدء بهذا الحديث إلى أن وجود الشرك تنتفي به المعرفة ويبطل به الإيمان ، فمن أشرك بالله ما عرف الله ، ومن أشرك بالله ما آمن بالله ، كيف يكون عارفًا بالله عالما به من يسوّي به مخلوقا من مخلوقاته! كيف يكون مثل هذا عارفا بالله !! ولهذا وصف الله تبارك وتعالى المشركين بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] ، فالمشرك ما عرف الله ، لو عرف الله عز وجل حقًا وصدقًا لما اتخذ معه شريكا ، لما سوى به حجرا أو شجرا أو قبرا أو إنسانا أو ملَكا أو أي مخلوق كان ، لا يمكن أن يسوي به مخلوقا من مخلوقاته ، ولهذا الشرك ناشئ عن فساد المعرفة بالله ، ما عرف الله المشرك ، ولا آمن بالله المشرك ، ولأجل هذا بدأ المصنف في باب المعرفة بذكر هذا الحديث العظيم الذي فيه إبطال الشرك ، في أي باب من أبواب الشرك وفي أي مجال من مجالاته الشرك باطل وفيه دلالةٌ على أن صاحبه ما عرف ربه ولا آمن به تبارك وتعالى ؛ ولهذا أورد المصنف رحمه الله في أول ما أورده من أدلة حديث أبي

هريرة رضي الله عنه قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))** .

قوله صلى الله عليه وسلم : ((**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)) هذا حديث قدسي ، والحديث القدسي ألفاظه ومعانيه من الله تبارك وتعالى ، فالله عز وجل قال ذلك لفظًا ومعنى ، ليس معناه من الله ولفظه من الرسول صلى الله عليه وسلم! بل هو بألفاظه ومعانيه كلام الله ، فقول رسولنا عليه الصلاة والسلام ((**قال الله تعالى**)) مفهوم هذه الكلمة أن هذه الكلمات «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ» كلماتٌ من الذي قالها ؟ رب العالمين ، ولو كان اللفظ من الرسول لما جاءت العبارة بهذه الصيغة ((قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك)) ، فهذا كلام من الله حروفه وكلماته ومعانيه كله من الله ، فهو حديث قدسي تكلم به رب العالمين ، والحديث القدسي فيه إثبات الكلام لله عز وجل وأنه يتكلم سبحانه وتعالى كما شاء ، والكلام صفة من صفاته ، وهو تبارك وتعالى يقول الحق ويهدي السبيل جل وعلا.

قال : ((**قال الله تعالى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ**)) وقوله «أغنى» هذا اسم تفضيل ، ليس فعل ماضي وإنما هو اسم تفضيل؛ أغنى الشركاء عن الشرك: أي أن إذا كان في الشركاء من هو غني عن شركائه فالله تبارك وتعالى غني عن الشرك ، ولهذا إذا وجد في العمل شرك رده الله على عامله ولم يقبله منه .

قال : ((**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ**)) ؛ الشركاء: أي من هم متشاركون في أمر ، فإذا كان في الشركاء من هو غني عن شركائه فالله تبارك وتعالى غني عن الشرك ، ولهذا إذا وُجد في العمل إشراكٌ بالله تبارك وتعالى رُدَّ العمل على صاحبه . فهذا فيه تنبيه للمشرك الذي يعبد الله ويعبد معه غيره بكمال غنى الله تبارك وتعالى عن عباده، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] ، فالله عز وجل غني عن العباد ، والعباد مفتقرون إليه ، والعبادة التي يقوم بها العبد هو المفتقر إليها ، أما الله عز وجل غني عنها لا تنفعه تبارك وتعالى طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى، ولهذا قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)) ، فهو تبارك وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى، ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء:١٥] .

قال: ((**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ**))؛ والشرك: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله ، سواء خصائصه في ربوبيته ، أو أسمائه وصفاته ، أو ألوهيته ، فمن سوَّى بالله غيره في شيء من خصائصه فقد أشرك بالله تبارك وتعالى شركًا أكبر ينقل من ملة الإسلام ويخرج من حظيرة الدين .

قال: ((**عَنْ الشِّرْكِ**))؛ الشرك هو التسوية وعدل غير الله بالله ، ولهذا قال الله عز وجل في وصف المشركين ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] أي يسوُّون به غيره، وقال عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] ، فمن سوى غير الله بالله أو عدل غير الله بالله في شيء من خصائص الله في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات فهو مشركٌ بالله تبارك وتعالى الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام .

ومن الشرك: الشرك الأصغر ؛ لأن الشرك نوعان: شرك أكبر ناقل من ملة الإسلام وهو ما سبق بيانه ، وشركٌ أصغر وهو يختلف عن الشرك الأكبر في حده وفي حكمه .

وحدُّ الشرك الأكبر عرفناه ؛ تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله ، وحكمه أيضا عرفناه وهو الخلود في النار يوم القيامة .

والشرك الأصغر يختلف عن الشرك الأكبر في الحد والحكم ؛ أما في الحد : فإن الشرك الأصغر هو ما جاء في النصوص تسميته شركًا ولم يبلغ حد الشرك الأكبر وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه ، مثل أن يقع الإنسان في يسير الرياء ، أو يقع من لسانه كلمات وألفاظ شركية لا يقصدها ؛ مثل أن يقول : ما شاء الله وشئت، أو مثل أن يقول والكعبة أو يحلف بمخلوق من مخلوقات الله ، ((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)) ، الشرك هنا أصغر ، وكذلك قول القائل "لولا البط لأتانا اللصوص أو لولا كذا لكان كذا" أو نحو هذه الألفاظ ؛ فهذه ألفاظ شركية وجاء في النصوص ما يدل على أنها شرك لكنها لا تبلغ رتبة الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام .

والإسلام جاء بتحريم هذه الألفاظ الشركية والمنع منها صيانةً لجناب التوحيد ، وتعظيمًا لمقام الرب تبارك وتعالى ، وتكميلًا للإيمان وتتميمًا له وحفظا له وحماية لجنابه ، وسدًا للذرائع التي تفضي إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى ، ولهذا هذه ألفاظ محرمة ألفاظ شركية يُنهى عنها ويُمنع منها ويحذَّر من فعلها .

ومن الأمور العجيبة المؤلمة المؤسفة وقع في يدي كتاب قبل يومين كتبه أحد المفتين في إحدى الدول ؛ وهو عبارة عن أسئلة وجِّهت إليه فبُدئت بسؤال عن لفظ شركي ، قيل له من حكم من يقول هذا اللفظ؟ أو ما حكم قول هذا اللفظ؟ قال هناك قاعدة –واسمعوا تقعيد الباطل والعياذ بالله– قال "هناك قاعدة وهي: أن الأصل في المسلم سلامته، وأي لفظ يقوله يُحمل على أحسن المحامل فله أن يقول من هذه الألفاظ ما شاء وتحمل له على أحسن محامله" ، ففتح الباب على مصراعيه بهذا التقعيد الفاسد ليقال من الألفاظ الشركية والكلمات الباطلة ليقول الإنسان ما شاء، والعوام الذين يسمعون له تبقى نفوسهم مستمرة ويبقون محافظين على هذه الألفاظ التي جاءت الشريعة بسدها والمنع منها .

قارن قول هذا الرجل بقول النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع رجلا يقول "ما شاء الله وشئت" فغضب عليه الصلاة والسلام وقال ((أجعلتني لله ندا! ما شاء الله وحده)) ، أنت لو تفكرت في حقيقة هذا الرجل لما قال "ما شاء الله وشئت" هل كان قاصدًا تسوية مشيئة النبي بمشيئة الله؟ لا والله ، وإنما لفظة جاءت على لسانه فمنعه منها وغضب عليه الصلاة والسلام وقال ((أجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده)) ويأتي أناس ويقعِّدون قواعد ويضعون أصول للعوام لتبقى هذه الأصول الشركية على ألسنتهم! فأين هؤلاء من هدي النبي عليه الصلاة والسلام وسنَنه القويم ؟ ومضى في فتاواه على هذه الطريقة ، سُئل عن أمور كثيرة جدا ومضى في فتاواه على هذه الطريقة في جانب العقيدة وجانب العبادة وجانب السلوك لا تكاد تجد له فتوى مستقيمة كلها فتاوى يذهب بالناس إلى مذاهب منحرفة وباطلة لا يذكر لهم آية من كتاب الله ولا يذكر لهم حديثا عن رسول الله ولا يذكر لهم مرويا ومأثورا عن سلف الأمة وإنما يتخرَّص ويتقوَّل في دين الله وعلى الله وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم ولا فهم؛ فهذا مثل من قال عنهم عليه الصلاة والسلام : ((أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ)) فإن خطرهم على الناس عظيم جدا .

الشاهد أن الشرك منه أكبر ومنه أصغر ، والشرك الأكبر ناقل من الملة وصاحبه مخلد في النار يوم القيامة ، والشرك الأصغر يختلف عن الأكبر في الحد والحكم ، ومن حيث الحد عرفنا ، ومن حيث الحكم فالعلماء اختلفوا هل الشرك الأصغر يدخل في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] ؟ فمنهم من قال هو داخل لعموم الآية لكنه لا يخلَّد في النار ، لابد أن يعذب لكنه لا يخلد في النار ، ومنهم من قال هو مثل الكبائر وهو أكبر الكبائر وأعظم الكبائر وأخطرها ، وإذا كان للإنسان حسنات راجحة يوم القيامة قد تغطي على يسير الشرك الأصغر الذي وُجد عنده ، لعموم قوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤] . قولان لأهل العلم ولكن الشرك الأصغر في غاية الخطورة على الإنسان وهو أعظم من الكبائر المجردة وأخطر منها ، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا» .

قال: ((**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا**)) ؛ «عملًا» نكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ أي: أيَّ عملٍ كان ، سواء كان العمل قليلًا أو كثيرا ، أو كان الإشراك قليلًا أو كثيرا يتناول ذلك ، ولهذا هذا الحديث يتناول بعمومه تحريم الرياء وتحريم السمعة وتحريم إرادة الدنيا بالعمل ، فكل هذا داخل في قوله ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)) والرياء محبط للعمل ، إذا وُجد مع العمل في أصله أبطله من أصله ، وإذا كان يسيرًا ودخل على جزء من العمل أفسد من العمل ما قارفه ، فهو محبطٌ للعمل ومفسدٌ لما قارفه من العمل لأن الله لا يقبل إلا الخالص ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ)) فسئل عنه فقال

((الرِّيَاءُ)) ، قال ((يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)) ، لا يقبل الله عز وجل من العمل إلا ما كان خالصا لوجه كما يدل عليه هذا الحديث .

ولهذا يجب على كل عاقل ناصح لنفسه أن يتيقن تمامًا أنه لن يدخل معه في قبره ما هو معدودٌ في صالح عمله إلا ما كان مبتغيا به وجه الله ، لو كانت أعماله التي قام بها أمثال الجبال لا يقبلها الله منه إلا إذا كان قد قصد بها وجه الله سبحانه وتعالى ، فلا يقبل الله من العمل إلا العمل الخالص أي الصافي النقي الذي لم يُرد به إلا الله تبارك وتعالى.

قال: ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي**)) أي جعل لغيره فيه شركة .

((**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)) أي أن الله لا يقبله منه بل يرده عليه ، وهذا فيه دلالة على أن عمل من سوَّى مع الله غيره وأشرك مع الله غيره أن عمله مردودٌ غير مقبول ، فمعنى «تركته وشركه»: أي رددتُ عليه عمله ولم أقبله منه ؛ ففيه أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا الخالص.

أعيد ثانية : أن المصنف رحمه الله بدأ بهذا الحديث منبهًا أن من أشرك مع الله تبارك وتعالى غيره ما عرف الله ولا آمن به حقيقة الإيمان ، لأن الشرك إن كان أكبر فهذا بطُل معه كل شيء ، وإن كان أصغر فهذا دليل على نقص الإيمان وضعفه وضعف المعرفة بالله تبارك وتعالى .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.